

الامامة والسياسة

[141] إن ا هدى أولكم بأولنا ، وحقن دماءكم بآخرنا ، وكانت لي في رقابكم بيعة ، تحاربون من حاربت ، وتسالمون من سالمتم ، وقد سالمتم معاوية ، وبايعته فبايعوه وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين ، وأشار إلى معاوية . إنكار سليمان بن مرد قال: وذكروا أنه لما تمت البيعة لمعاوية بالعراق ، وانصرف راجعا إلى الشام ، أتاه سليمان بن مرد ، وكان غائبا عن الكوفة ، وكان سيد أهل العراق ورأسهم . فدخل على الحسن ، فقال: السلام عليك يا مذل المؤمنين ، فقال الحسن: وعليك السلام ، اجلس . ا أبوك ، قال: فجلس سليمان ، فقال: أما بعد ، فإن تعجبنا لا ينقض من بيعتك معاوية ومعك مئة ألف مقاتل من أهل العراق ، وكلهم يأخذ العطاء مع مثلهم من أبنائهم ومواليهم ، سوى شيعتك من أهل البصرة وأهل الحجاز ، ثم لم تأخذ لنفسك ثقة في العهد ، ولا حظا من القضية ، فلو كنت إذ فعلت ما فعلت ، وأعطاك ما أعطاك بينك وبينه من العهد والميثاق ، كنت كتبت عليك بذلك كتابا ، وأشهدت عليه شهودا من أهل المشرق والمغرب إن هذا الأمر لك من بعده ، كان الأمر علينا أيسر ، ولكنه أعطاك هذا فرضيت به من قوله ، ثم قال: وزعم على رؤوس الناس ما قد سمعت ، إنني كنت شرطت لقوم شروطا ، ووعدتهم عدات ، ومنيتهم أمانا ، إرادة إطفاء نار الحرب ، ومداراة لهذه الفتنة ، إذ جمع ا لنا كلمتنا وألفتنا ، فإن كل ما هنالك نحت قدمي هاتين ، ووا ما عنى بذلك إلا نقض ما بينك وبينه ، فأعد للحرب خدعة ، واذن لي أشخص إلى الكوفة ، فأخرج عامله منها ، وأظهر فيها خلعه ، وانبذ إليه على سواء إن ا لا يهدي كيد الخائنين . ثم سكت . فتكلم كل من حضر مجلسه بمثل مقاتله ، وكلهم يقول: ابعث سليمان بن مرد ، وابعثنا معه ، ثم الحقنا إذا علمت أنا قد أشخصنا عامله ، وأظهرنا خلعه . فتكلم الحسن ، فحمد ا ، ثم قال: أما بعد ، فإنكم شيعتنا وأهل مودتنا ، ومن نعرفه بالنصيحة والصحة والاستقامة لنا ، وقد فهمت ما ذكرتم ولو كنت بالحزم في أمر الدنيا وللدنيا أعمل وأنصب ، ما كان معاوية بأأس مني بأسا ، وأشد شكيمة ، ولكان رأيي غير ما رأيتم ، ولكني أشهد ا وإياكم أنني لم أرد بما رأيتم إلا حقن دماءكم ، واصلاح ذات بينكم ، فاتقوا ا وارضوا بقضاء ا ، وسلموا لامر ا ، والزموا بيوتكم ، وكفوا أيديكم ، حتى يستريح بر ، أو يستراح من فاجر ، مع أن أبي كان يحدثني أن معاوية سيلي الأمر ، فو ا لو سرننا إليه بالجمال والشجر ، ما شككت أنه سيظهر ، إن ا لا معقب لحكمه ، ولا راد لقضائه ، وأما قولك: يا مذل